خطاب جلالة الملك
بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

أبيت إلا أن ألتقي بك مرة أخرى بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة، حتى أبلغك تمنياتي وتهنئتي الخالصة، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يجعل من السنة التي نحن على أبوابها سنة يمن وسعادة ورخاء.

في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه).

شعبي العزيز

كثيراً ما تكلم المفسرون والمؤرخون والفلاسفة عن الهجرة ومعانيها، وليس في مطمحي أن آتي بشيء جديد ولا في إمكاني أن أقول ما لم يقل، إلا أنني حاولت أن أستنبط من الهجرة بعض الأفكار التي تساير جيلنا وتخامر أفكار إخواننا، فوجدت أن في الهجرة ألواناً وأصنافاً كثيرة من الاستراتيجيّة السياسية والعقائدية، تلك التي يتبجح بها المتبجحون ويتمشدق بها المتمشدقون، وتتيه فيها أفكار شبابنا وشباب المسلمين كافة، ناسين وغافلين عن أن في الإسلام ضالتهم المنشودة، وفلسفتهم المقصودة، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فقط مصلحاً ولم يكن فقط نبياً كالأنبياء ولا رسولا كالرسل، بل أعتقد شخصياً في نفسي أنه كان بالمعنى السياسي والفلسفي الحديث ثورياً، فإذا كنا نرى ذلك في ما أتانا به من القوانين والمعاملات، وإذا كنا نرى ذلك في أساليبه التعليمية والتلقينية، وإذا كنا نرى ذلك في معاملته للأجانب ملوكا ورؤساء وللأسرى والأعداء، نرى حتى في أسلوبه — والهجرة هي أول أسلوب — وفي شكله كان ثوريا بالمعنى الصحيح.

في إمكان الله سبحانه وتعالى أن يغلبه على قومه، وأن يؤتيه النصر والفتح، فيبقى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة حتى يستتب الأمر وينتشر الإسلام، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أبى إلا أن يهاجر إلى المدينة، فاختارها لسببين :

السبب الأول : أنه طبق ما قاله ماوتسي تونغ : الآن المبدأ، أنه لابد لكل خالق ومنشىء أن يجد نفسه في الوسط الذي يعيش فيه، كما يجد السمك نفسه في الماء، فينظر حوله فلم يجد إلا المدينة قريبة منه حيث يسكنها يهود ولكن موحدون، إذن اختار قبل كل شيء عالماً موحداً.

ثانيا : وهاهي النقطة الثورية الثانية، اختار دينا أصيلا مشروعا، لأن كل ثورة لا تنتمي إلى مشروعية تاريخية ثورة لا تنجح، لذا نرى القرآن يؤكد مرات ومرات صلة الإسلام بابراهيم، ولذا نرى النبي صلى الله عليه وسلم ينازع النصارى وينازع اليهود في القرابة من ابراهيم، ويؤكد أنه أقرب الناس لابراهيم، وها هو بهذه الهجرة طبق مبدأين أساسيين من الإستراتيجية، التاكتيك والأسلوب. إنه بحث عن مجموعة بشرية يجد نفسه وسطها ولو في أول الأمر كما يجد السمك نفسه في الماء، فبحث عن مجتمع موحد، لأن مكة مشركة.



وأيضا ما هو ذلك المجتمع ؟

هو المجتمع الذي ينتمي أكثر من المجتمعات الأخرى إلى إبراهيم، إلى الأصالة ،كان في إمكانه أن يذهب إلى الحبشة، موحدو الحبشة نصارى، ولكن النصارى قد أغفلوا عن الإنجيل.

وهكذا شعبي العزيز بعد هذه الملاحظة العابرة، أبيت إلا أن أقول لشبابنا، لمن يعاصرنا الآن ولمن هو في الدراسة الثانوية أو العليا إن النبي صلى الله عليه وسلم والدين الاسلامي والسلوك النبوي، كل هذا لا يحتاج إلى دروس من الخارج، يحتاج إلى شيء من التفكير البسيط، ويمكن إذ ذاك لكل مغربي ولكل مسلم أن يعطي للينين ولماوتسي تونغ ولأي أحد من القادة السياسيين وأعلام المفكرين دروسا في الجوهر وفي الأسلوب.

إن كل سنة تمر شعبي تخلف من ورائها منجزات وأغلاطا، ولسنا هنا في موقف الحساب والمحاسبات، إلا أننا نريد أن نقول بكل تواضع — وجميعا أنت ونحن — إن السنة المنصرمة كيفما كانت أغلاطها وكيفما كانت ثغراتها كانت سنة مليئة بالمنجزات مليئة بالخطوات، منها ما نفذ تماما ومنها ما هو في حيز التنفيذ، ومنها ما وضع له تصميم محكم حتى يصبح شيئا واقعيا في هذه السنة.

فوعياً منا وإيمانا، بأن الإنطلاقة السياسية في العالم لا يمكن أن تكتسب إلا إذا كان بجانب هذا كله زاد من الثراء وكثرة من المال، انكبينا قبل كل شيء على إيجاد أسباب ثرواتنا وموارد أموالنا، فكان ولله الحمد النجاح والحظ حليفين لنا.

النجاح : إن الله سبحانه وتعالى هدانا إلى أهداف ما كنا لنهتدي إليها لولا أن هدانا لها.

الحظ : إن الله سبحانه وتعالى يجعلنا نكشف يوماً بعد يوم بلدنا، فنجد في طياته خيرات زاخرة تكفينا نحن والأجيال التي تأتي بعدنا مدة قرون .

وبعد ما وطدنا مكانتنا في الخارج، وبعدما وضعنا التصميمات للبناء الإقتصادي والإنطلاقة الإقتصادية في الداخل، قررنا هذه السنة زيادة على الأعباء الأخرى وزيادة على التصاميم الأخرى أن نجعل في صدر مشاغلنا ومهامنا الناحية الإجتماعية، الفكرية منها والمدنية، المدنية نسبةً إلى المدينة تلك المدينة التي يريدها كل واحد منا مدينة صالحة فاضلة، ففكرنا في الوسط وفي البيئة التي سيعيش فيها المغاربة، وأحسن بيئة وأحسن ظل يمكن أن نتظلل به هو القانون من جهة، والعدل من جهة أخرى، لذا قررنا حتى نصل إلى العدل أن نغير القانون ونضع قوانين ومسطرة تناسب شخصيتنا وعبقريتنا الأسروية والإقتصادية والإجتماعية، حتى نصبح في هذه البيئة نحن كذلك كالسمك في الماء، ولذا لن ينقضي شهر فبراير حتى ستعرض على طابعنا الشريف النصوص الجديدة التي ستتمشى عليها العدالة في المغرب، كان في الإمكان أن نأتي بإصلاحات جزئية ولو جذرية، ولكن فضلت أن ننسى كل ما هو الآن موضوع، ونبني من جديد، ففي بنائنا سنستعمل بعض الأدوات التي كانت في البناء الماضي، ولكن سنغير الإتجاه ونغير العمود الفقري حتى يمكن لهذه العدالة ولتلك القوانين أن تتمشى مع مقتضياتنا الإقتصادية والإسلامية والإجتماعية، هذا فيما يخص طمأنينة المدينة وطمأنينة الأسرة المغربية الكبيرة، أما فيما يخص تفكيرها وأساليب تكوين رجال مستقبلها فقد وضعنا كذلك من جملة أهدافنا

الأساسية التصميم للنظر في المسائل التربوية، وقررنا أن نبتدىء بالتعليم الإبتدائي القاعدة الأساسية لكل تربية، فإذا لم يكن علينا في الشهور الثلاثة الأولى من هذه السنة المباركة إلا أن نحل هاتين المشكلتين فسنكون قد أنجزنا عملا كبيراً.

ولسنا شعبي العزيز أنت ونحن من الذين يقنعون بحل المشكلتين كيفما كانت أهميتهما، بل نحن من الذين يقولون هل من مزيد ؟ نظراً لأنهم يتكلون على الله، وبعد اتكالهم على الله يضعون الخطوة تلو الخطوة حتى يصلوا إلى أهدافهم، وسوف تكون السنة الهجرية المقبلة شعبي العزيز سنة خير وبركة على العالم الإسلامي والعربي، ذلك أننا سوف نرى ثمار جهاد مرير دام ما يزيد على ربع قرن ليسترد المسلمون والعرب بالخصوص ترابهم وعزتهم وصولتهم وحريتهم وكرامتهم، بل أكثر من ذلك لا نسترد هذا فقط بل نسترده ونتعداه، ذلك أن المواقف العربية عسكرية كانت أم ديبلوماسية قائمة كانت على السلاح أم مبنية كانت على النفط وعلى القوى، خلقت مضاعفات وتركت مخلفات، ستكون عجلة التاريخ تحسب لها حسابها وسيصبح العالم الإسلامي بكيفية عامة والدول العربية بكيفية خاصة لا دولا يحسب لها حسابها فحسب، بل دولا يخشى أن تكون كذلك من المحاسبين على الصعيد الدولي، فإذا عرفنا كيف نتصرف في هذا المكتسب، وإذا نحن توجهنا الوجهة الصالحة، وإذا كانت هجرتنا هجرة إلى الله ورسوله وإعلاء كلمة الله وإعلاء كلمة شعوبنا ستكون هجرتنا هجرة مباركة شكلا ومعنى، ولا يمكن أن يكون غير ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يعكس من خلفنا ومن ورائنا وعن شمالنا وعن يميننا ما يعلمه في طيات أنفسنا ونياتنا من خير وشر، وبما أنه سبحانه وتعالى لم يرنا إلا الخير ولم يعودنا إلا الجميل فمعنى هذا أنه ينفخ في نفوسنا وفي أفكارنا وفي قلوبنا كل يوم وكل ليلة رؤساء وقادة وشعوباً، ينفخ فينا من روحه، من روح الهداية وروح الإيمان وروح الثبات وروح التجديد، تلك الروح التي بدونها لا يمكن لأي أحد أن يساير العالم اليوم.

تلك هي شعبي العزيز بعض الأفكار التي كنت أريد أن أتناولها أمامك ومعك، ولو أردت أن أعبر عن كل ما في قلبي من دعوات ومن عواطف نحوك لما استطعت، وحتى لو استطعت لصرنا أنت وأنا في حديث ألف ليلة وليلة.

فعلماً منك وعلماً مني أن ألفاظ القاموس لا تكفي، وأن كل المعاني لا تفي، وربما نظرة صادقة من عين صادقة إلى عين صادقة، وابتسامة مخلصة من قلب مخلص إلى قلب مخلص هي أفصح دعاء وأخلص تهنئة.

والله سبحانه أسأل أن يكرر ويكرر عشرات المرات مثل هذه المناسبة حتى نتلاقى فنتفاتح فنتهانأ ونتعانق، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الخميس 30 ذو الحجة 1393 — 24 يناير 1974